

١٢ - محاورات أفلاطون

الحوار الثالث

فيدون أو خلود الروح

ترجمة الأستاذ زكي نجيب محمود

- أو ليس البواسل من الرجال يحملون الموت ، لأنهم يخشون ما هو أعظم من الموت شراً ؟

- هذا صحيح

- إذن فكل الناس ما خلا الفلاسفة شجعان ، إلا أنها شجاعة من الخوف والوجل . وإنه لعجيب ولا شك أن يكون الرجل شجاعاً لأنه مذعور جبان !

- صحيح جداً

- أو ليس هذا بمينه شأن المتذابين ؟ إنهم معتدلون لأنهم مغرطون - قد يبدو ذلك متناقضاً ، ولكنه مع ذلك هو ما يحدث في هذا الاعتدال الأحق - فهناك من اللذائذ ما ينجسُ صون على تحصيلها ويخشون ضياعها ، فهم لذلك يتمفقون عن نوع من اللذات لأن نوعاً آخر قد استولى عليهم ، وإذا عرّف التفریط بأنه : « الخضوع لسلطان اللذة » فإنهم لا يقهرون لذة ، إلا لأن لذة تقهرهم ، وذلك ما أعنيه بقول إنهم معتدلون لأنهم مغرطون - يظهر أن ذلك حق

- ومع ذلك ، فليس من الفضيلة استبدال خوف أو لذة أو ألم بخوف آخر أو لذة أو ألم ، وهي متساوية كلها ، أكبرها بأصغرها ، تساوى النقد بالنقد . أى عزيزى سمياس ، أليس فى النقد قطعة واحدة صحيحة هى التى ينبى أن تستبدل بالأشياء جميعاً ؟ - وتلك هى الحكمة ، ولن يشرى شيء بحق أو يباع ، شجاعة كان أم عفة أم عدلاً ، إلا إن كان للحكمة ملازماً ، وإلا إن كانت هذه الحكمة له بدلاً . ثم أليست الفضيلة الحق بأمرها رفيقة الحكمة ، بنض النظر عما قد يكتنفها أو لا يكتنفها من المخاوف واللذائذ أو مالم اليها من الخيرات أو الشرور ؟ إلا أن الفضيلة التى يكون قوامها هذه الخيرات التى تأخذ فى استبدال بعضها ببعض بعد أن تكون قد انفصلت عن الحكمة ، ليست من

الفضيلة إلا ظلمها ، ولا يكون فيها من الحرية أو العاقبة أو الحقيقة شيء ، أما التبادل الحق فيقتضى أن تمنحى هذه الأشياء محواً ، وما ظهورها إلا العدل والشجاعة والحكمة نفسها . وإنى لأتصور أن أولئك الذين أنشأوا الأسرار ، لم يكونوا مجرد عابثين ، بل قصدوا إلى الجد حينما عمدوا إلى شكل فرضوا به إلى أن من يعضى إلى العالم الأسفل دنساً جاهلاً سيعيش فى حماة من الوحل ، أما ذلك الذى يصل إلى العالم الآخر بعد التعليم والتطهير فسيعقيم مع الآلهة . وكما يقولون فى الأسرار : « كثيرون هم من يحملون عصا السحر ، أما العالمون بالسحر فقليل » (١) وهم يريدون بهذه العبارة فيما أرى ، الفلاسفة الحق ، الذين أنشفت حياتى كلها أبحث بينهم لعل أجد مكاناً ، ولست أشك فى أننى عند ما أبلغ العالم الآخر ، بعد حين قصير ، سيأتينى إن شاء الله علم يقين ، عما إذا كنت قد التقت فى البحث سبيلاً قويمه أم لا ، وإن كنت قد أصبت التوفيق أم لم أصبه . أى سمياس وسييس ، لقد أجيبت بهذا على أولئك الذين يؤخذوننى بعدم الحزن أو الجزع فراقكم وفراق سادى فى هذا العالم ، فقد أصبت بعدم الخوف لأننى أعتقد أننى سأجد فى العالم الأسفل أصدقاء وسادة آخرين ، يعدلونكم خيراً ، ولكن الناس جميعاً لا يسيفون هذا ، وإنه ليسرنى أن تصادف كلمتى عندكم قبولاً أكثر مما صادفت عند قضاة الأثينيين

- أجاب سييس - إنى موافقك بإسقاط على معظم ما تقول ، ولكن الناس أميل إلى عدم التصديق فيما يتصل بالروح . إنهم يخشون ألا يكون لها مستقر إذا ما فصلت عن الجسد ، وإنها قد تذوى وتزول فى يوم الموت ذاته - فلا تكاد تتحلل من الجسد حتى تنطلق كال دخان أو الهواء ، ثم تلتصق فى المدم . فلو قد تستطيع أن تهاك أجزاؤها ، وأن تظل كما هى بعد أن تكون قد خلصت من شرور الجسد ، رجونا بإسقاط ، محقين فيما نرجو ، أن ما نقوله حق ، ولكننا بحاجة إلى كثير من الأقتناع ووفير من

(١) يريد إسقاط بهذا القول كله أن الفيلسوف يفهم الخير والشر خلافا لما يفهمه منها سائر الناس ، فعادة الناس لا يفنون مواقف الشجاعة ولا حينما يتهدد بهم خطر أعظم مما فيه ، فإن أقدموا مثلاً على الموت فلأنهم يخشون المار أو الهزيمة أو ما اليها مما يعتبر شراً من الموت ؛ كذلك من يزعمون فى أنفسهم العفة ، لا يمتنعون عن لذة إلا لأنهم يطعمون فى أكبر منها . أما الفيلسوف الحق فيحتقر هذه الموازنة بين اللذة والألم ، ولا يعترف بفضيلة إلا إن كانت ملازمة للحكمة ؛ وكل الفضائل بما فيها الحكمة نفسها إن هى فى نظر الفيلسوف إلا ظهور للنفس من أدائها ؛ وذلك ما عناه مؤلفو الأسرار حينما قالو : كثيرون هم من يحملون عصا السحر ولكن العالمين بالسحر قليل

الحجج ، لا ثبات أنه إذا مات الانسان فروحه تظل مع ذلك موجودة ، وتكون على شيء من قوة الذكاء

- فقال سقراط - هذا حق ياسييس ، فهل لي أن أقترح حديثاً قصيراً عما يحتمل لهذه الأشياء من وجوه ؟

- قال سييس - لست أشك في أنى شديد الرغبة في معرفة رأيك عنها

- فقال سقراط - لا أحسب أن لأحد ممن سمعنى الآن ، حتى ولو كان أحد أعدائى القدماء من الشعراء الهازلين ، أن يتهمنى بالخطب في الحديث عن موضوعات لا شأن لي فيها . فأذنوا إن شئتم بأن نغضى في البحث

إن مشكلة أرواح الناس بعد الموت : أهمي موجودة في العالم الأسفل أم غير موجودة ، يمكن مناقشتها على هذا النحو : 'يؤكد' المذهب القديم الذى كنت أتحدث عنه ، أنها تذهب من هذا العالم إلى العالم الآخر ، ثم تعود إلى هنا حيث تولد من الميت ، فإن صح هذا وكان الحى يخرج من الميت ، للزم أن تكون أرواحنا في العالم الآخر ، لأنها إن لم تكن ، فكيف يمكن لها أن تولد ثانية ؟ إن هذا القول حاسم ، لو كان نمت شاهد حقيقى على أن الحى لا يولد إلا من الميت ، أما إذا لم ينهض على هذا دليل ، فلا بد من سوق أدلة أخرى

فأجاب سييس - هذا جد صحيح

- إذن فدعنا نبحث هذه المسألة ، لا بالنسبة إلى الانسان وحده ، بل بالنسبة إلى الحيوان عامة ، وإلى النبات ، وكل شيء يكون فيه التوالد ، وبذلك تسهل إقامة الدليل . أليست كل الأشياء التى لها أصداد تتولد من أصدادها ؟ أعنى الأشياء التى كالخبر والشير ، والعدل والجائر - وهناك من الأصداد الأخرى التى تتولد من أصدادها ، عدد ليس إلى حصره من سبيل ، وإنما أريد أن أبرهن على أن حجة هذا القول شاملة لما في الكون من أصداد ، أعنى مثلاً أن أى شيء يكبر ، لا بد أنه قد كان أصغر قبل أن أصبح أكبر

- صحيح

- وأن أى شيء يصغر ، لا بد أنه قد كان يوماً أكبر ثم صار أصغر

- نعم

- وأن الأضعف يتولد من الأقوى والأسرع من الأبطأ

- جد صحيح

- والأسوأ من الأحسن ، والأعدل من الأظلم ؟

- بالطبع

- وهل هذا صحيح عن الأصداد كلها ؟ وهل نحن مقتنعون بأن جميع الأصداد ناشئة من أصداد ؟

- نعم

- ثم أليس نمت كذلك في هذا التضاد الشامل بين الأشياء جميعاً ، فعلان أوسطان ، لا ينفكان يسيران من ضد إلى الضد الآخر جيئة وذهاباً ، فحيث يوجد أكبر وأصغر ، يوجد كذلك فعل متوسط بينهما ، يعمل للزيادة والنقصان ، ويقال للشيء الذى ينمو إنه يزيد ، وللشيء الذى يتناقص إنه يذوى

فقال - نعم

- وهناك غير ذلك عمليات كثيرة أخرى ، كاللجنة والتكوين والتبريد والتسخين ، التى تتضمن تساويين ما يخرج من شيء وما يضاف إلى شيء آخر . أليس ذلك صحيحاً بالنسبة إلى الأصداد كلها ، حتى ولو لم يعبر عنها باللفظ دائماً - ففى تولد الواحد من الآخر ، ونمت انتقال ، أو فعل ، بين بعضها وبعض

- فأجاب - هذا جد صحيح

- جميل ، أذليس هناك ضد للحياة ، كما أن النوم ضد اليقظة ؟

- فقال - بل هذا حق

- وما هو ذاك ؟

- فأجاب - هو الموت

- فإن كان هذان ضدين ، فهما متولدان إذن أحدهما من

الآخر ، وبينهما كذلك فعلان أوسطان ؟

- بالطبع

(ينبع)

زكى نجيب محمود

الرواية المسرحية في التاريخ والفن

بحث مفصل تناول أطوار الرواية وأنواعها وقواعدها ومذاهبها من المصور اليونانية إلى اليوم نجده منشوراً في كتاب

في أصول الأدب

الذى صدر هذا الأسبوع